

د. شريف بوشحدان
ق. اللغة العربية وآدابها
جامعة عنابة

تعليمية اللغات الأجنبية
بين البنوية والوظيفية التبليغية

Résumé

Nous avons présenté dans cet article l'évolution de la méthodologie de l'enseignement des langues étrangères, du structuralisme au fonctionnalisme.

Notre étude est fondée sur les questions principales que la didactique des langues se pose généralement. Ces questions ont été traitées sous quatre rubriques :

- Le public ciblé.*
- les objectifs à atteindre.*
- le contenu à délimiter*
- les méthodes à mettre en oeuvre.*

L'essentiel de cette évolution, c'est l'idée d'un enseignement fonctionnel; C'est à dire un enseignement centré sur l'apprenant, visant à l'amener à la maîtrise de la compétence de communication..

في أوائل القرن الحالي ، ظهر كتاب صغير الحجم، عظيم الفائدة، لصاحبه اللساني السويسري فرديناند دي سوسير (. DE SAUSSURE F) بعنوان (GENERALE LINGUISTIQUE COURS DE) . وكان الناس حينها في أمس الحاجة إلى نظرية عامة للغة ، تحدد موضوعها، وتوضح مفاهيمها، وتعالج عناصرها معالجة شاملة باعتبارها كلا لا على أنها عناصر معزولة بعضها عن بعض . وهذا ما وجدته الباحثون في كتاب سوسير، إذ لاحظوا أن الرجل يسلك منهاجاً يختلف تماماً عما سبقه من مناهج. فهو ينظر إلى اللغة نظرة شاملة لا جزئية ثم نظرة آنية (SYNCHRONIQUE) غير تطويرية لظواهرها . وبهذا المنهج انقلبت اللغة من الدراسة التاريخية إلى الدراسة الوصفية البنوية بالالتفات

إلى بنيتها (STRUCTURE) والنظر في هيكلها في زمن معين . وأعتبر اللسان بذلك نظاما (SYSTEME) ترتبط فيه الأجزاء ارتباطا تحدد به قيمة كل عنصر من خلال الحضور المترامن للعناصر الأخرى من المجموعة التي ينتمي إليها⁽¹⁾ .

هذا عن البنيوية الأوروبية التي برزت مع المفاهيم التي جاء بها سوسير ، والتي انطلق منها اللسانيون من بعده ومنها تشكلت معظم المدارس اللسانية .

أما البحث اللساني في أمريكا ، فقد تناول الظاهرة اللغوية تناولا مختلفا عما هو عند سوسير وأتباعه ، إذ لم يكن الباحثون الأمريكيان على اتصال وثيق بما كان يجري في أوروبا . وقد اتخذ هذا البحث وجهته الخاصة به بعد أن نشر بلومفيلد (ت 1949) كتابه الشهير " اللغة " (LANGUAGE) سنة 1933 .

وكانت الفلسفة السلوكية في الثلاثينات من هذا القرن التيار الذي لا ينازع في حقل العلوم النفسانية، وكان واطسن (B WATSON) أحد روادها . وانتقل أثر هذه الفلسفة إلى العلوم اللسانية بفضل بلومفيلد الذي كان أكبر المتحمسين لها . وقد طبق فرضيات السلوكيين في دراسة اللغة التي اعتبرها كذلك سلوكا يخضع لعوامل المثير والاستجابة⁽²⁾ . واللساني — في نظره — لا يعالج إلا الأحداث المحددة بالزمان والمكان ، والخاضعة لكل الملاحظين مهما كانت صفتهم⁽³⁾ . لذلك فلا يتعدى عمل اللساني المظهر الخارجي للغة لأنه غير قادر على معالجة المسائل المتعلقة بعلم الأعصاب (NEUROLOGIE) ، ورفض بذلك كل المصطلحات الذهنية التي لا تزيد — في نظره — البحث اللساني إلا غموضا وتعقيدا مثل الفكر (PENSEE) والمداول (CONCEPT) .

وفهم من ذلك أن البحث الدلالي (NTIQUESEMA) ينبغي إبعاده عن كل دراسة وصفية (4) . أما للغة عنده فليست إلا سلسلة من المراتب المتدرجة (RANGS HIERARCHISES) الصوتية والصرفية والجمالية حيث يحدد كل عنصر بارتباطاته في السلم الأعلى

ولتحديد العناصر في كل مستوى ، ينبغي تقطيع السلسلة الكلامية بكيفية تمنع اللجوء إلى المعنى إلا في بعض الأمور التقنية للتأكد من هوية الأقوال في حدود الاستطاعة (5) . ومجمل القول أن البنيوية الأمريكية خلافا للأوروبية تقوم بتقطيع الكل إلى عناصر مكونة ، وتحدد كل واحد منها بحسب موضعه من ذلك الكل ، وما يمكن أن يحدث من تحويلات في ذلك الموضع (6) .

أما الوظيفية (FONCTIONNALISME) فهي اتجاه لساني مستوحى من دروس سوسير ، انطلقت مع أعمال حلقة براغ اللسانية (7) . التي كان العالم الروسي الكبير رومان جاكوبسن (R. JAKOBSON) المحرك الأساسي لها . وامتد أثرها بقوة إلى فرنسا مع أعمال مارتني (A. MARTIN) وأتباعه .

اللسانيات الوظيفية ترفض اعتبار اللغة نظاما شكليا أو موضوعا مغلقا للتحليل يدرس لذاته . فهي تربط كل وصف لساني بالوظيفة المركزية للغة ، وهي التبليغ. وقد كان تأثير اللسانيات البنوية وعلم النفس السلوكي في مناهج تدريس اللغات عميقا واضحا . فقد ظهرت طرائق متعددة تعطي الأولوية للجانب الشفوي وترفض الاعتماد على الترجمة لأن اللغات أنظمة مختلفة وأن اكتساب اللغة يتم عن طريق تكوين العادات اللغوية التي تتم بواسطة التكرار .

وبعد فترة وجيزة من ظهور الطرائق المتنوعة في حقل تعليمية اللغات، بدأ الإحساس بعدم فاعليتها يتزايد . وظهر للجميع أن النتائج المحصل عليها لم تحقق الأهداف التي وضعت من أجلها تلك الطرائق؛ فقد اتضح أن المتعلمين بهذه الطرائق ليسوا بأحسن حال من المتعلمين بالطرائق القديمة (8) . وفي تلك الأثناء برزت طرائق جديدة تقوم على أفكار ومبادئ مغايرة للطرائق البنوية . أهم هذه المبادئ تغير النظرة إلى مفهوم اللغة ، وإلى طبيعتها تعليمها وتعلمها ، فمس التحول العناصر المكونة للعلمية التعليمية وهي ؛ المادة

اللغوية ، والمعلم ، والمتعلم ، والطريقة . وتنضوي هذه الطرائق كلها تحت الاتجاه الوظيفي في تعليمية اللغات . ويمكن أن نرصد مظاهر هذا التحول في العناصر التالية .

أولا — الجمهور المقصود : ونستطيع تحديده بطرح السؤال التالي : من نعلم ؟ . والمنهجية البنوية تعامل المتعلم باعتباره تلميذا⁽⁹⁾ يتلقى تعليما مفروضا من المؤسسة ، لا يختلف عن التعليم العام حيث يصنف الجمهور بحسب السن أو المستوى العلمي في أحسن الأحوال . أما المنهجية الوظيفية فتعامل مع متعلمين (APPRENANTS) يستعان بهم في وضع المشاريع التربوية التي تخدمهم . وهؤلاء المتعلمون هم في الغالب راشدون، ينظر إليهم على أنهم مختلفون ويصنفون بحسب مستواهم الثقافي العلمي أو الاجتماعي المهني. وتكون احتياجاتهم بذلك مختلفة وخصوصية ، ولا يدوم هذا التعليم إلا فترة قصيرة .

ثانيا — الأهداف : وهي تلك التي يمكن التعبير عنها بالسؤال التالي : " لماذا نعلم ؟ " وبالإجابة عن هذا السؤال تبرز العناصر الأساسية التي تختلف في ضوئها المنهجية الوظيفية عن المنهجية البنوية .

أ) بين الملكة اللغوية والملكة التبليغية : إن المنهجية البنوية مع تركيز أصحابها على قيمة الإفادة لتحضير الفرد للحياة العملية فإن هدفها لا يتعدى الملكة اللغوية. في حين أن المنهجية الوظيفية ، وإن كانت تلتقي مع المنهجية البنوية في التركيز على قيمة الإفادة ، فإنها تختلف عنها عند التطبيق، إذ تولي اهتماما كبيرا باستعمال اللغة في الحياة الاجتماعية المهنية . لذلك فهي تفرق جيدا بين تعليم يولي اهتماما باللغة باعتبارها نظاما ، ويكون هدفه اكتساب الملكة اللغوية ، وبين تعليم يعطي الأولوية للاستعمال، ويكون هدفه اكتساب الملكة التبليغية (COMPETENCE COMMUNICATIVE) ؛⁽¹⁰⁾ . أما النوع الأول فلا يأخذ في اعتباره إلا البعد اللساني ، أي القدرة على فهم وإحداث عدد لا

هائسي من الجمل الصحيحة نحويا . ويرى أصحابه أن التصحيح النحوي ضروري كاف ؛ ذلك أن التعليم البنوي يختبر المعرفة النحوية لا المهارة، ويتوقف نجاح الفرد هنا على مدى اكتسابه للمعارف النحوية .

وأما النوع الثاني فيهتم بالبعدين اللغوي وغير اللغوي للتبليغ؛ أي الجمع بين اللغة باعتبارها معرفة نظرية ومعرفة علمية ، ويتطلب ذلك من المتعلم معرفة القواعد اللغوية التي تمكنه من الاستعمال الصحيح للغة ومعرفة القواعد الاجتماعية الثقافية التي تيسر له اللغة في المقام الاجتماعي المناسب (11) . وهنا يصبح التصحيح النحوي غير ضروري لأننا نستطيع أن نفهم جملا خاطئة نحويا ، وغير كاف لأنه لا يستطيع أن يعوض الجوانب المتعلقة بالبعد غير اللغوي (PARALINGUISTIQUE) . ذلك أن التعليم الوظيفي مرتبط بما يستحسنه المستمع لا بالمعرفة النحوية لأن اللغة عند أصحابه مهارة تكتسب في الوقت نفسه مع الملكة اللغوية .

(ب) بين المشافهة والكتابة : كانت المنهجية البنوية تعطي الأولوية للجانب الشفوي الذي أهملته الطرائق التقليدية ، وذلك للاعتبارات التالية :

- أن البدء في المنطوق من اللغة يساير المسار الطبيعي لاكتساب اللغة .

- أن البدء في المناقشة يجنب تداخل النطق مع الكتابة والقراءة .

أما الوظيفية فلا تعطي الأولوية للجانب الشفوي لأن الأهداف فيها تحدد حسب خصوصية المتعلمين ورغباتهم ، وليس انطلاقا مما يعتقد علماء النفس في نظرية اكتساب اللغة ... إن تعليم اللغة في هذه المنهجية يمكن أن ينطلق من تعليم الكتابة أو الجمع بينها ، وبين لغة المشافهة . فالتعليم هنا يرد الاعتبار للجانب المكتوب .

(ج) بين البرنامج المدرسي والبرنامج الوظيفي: فالأهداف في المنهجية البنوية مستوحاة من المبادئ التربوية العامة. وهذه المبادئ توضع انطلاقا من

احتياجات الطلبة المؤهلين وقدرتهم العالية، تقوم بها المؤسسة الرسمية وتقدم إلى الأساتذة على شكل تعليمات رسمية .

أما المنهجية الوظيفية فتحدد الأهداف فيها انطلاقاً من احتياجات المعلمين ورغبتهم بالقيام بتحقيقات (ENQUETES) ميدانية . والبرنامج الوظيفي ينطلق من تحديد الوظائف اللغوية التي ينبغي للمتعلم أن يعبر عنها بوضوح، والأدوار الاجتماعية التي ينتظر أن يقوم بها وما يناسبها من اعتبارات وأساليب لغوية مختلفة⁽¹²⁾. وقدما أشار الجاحظ إلى أن " كلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات " (13).

ثالثاً — المحتوى المناسب : ويحدد انطلاقاً من السؤال التالي ؛ ماذا نعلم ؟ فالمنهجية البنوية تنطلق من محتوى شكلي (الأشكال اللسانية) لتحديد من خلاله المفاهيم التي ستعلم. ولذلك فأصحابها يهتمون بإحصاء الأشكال اللغوية لاستخراج البنى النحوية والوحدات المعجمية الأكثر استعمالاً . أما المنهجية الوظيفية فتنتقل من محتوى دلالي (أي المفاهيم) للوصول إلى الأشكال اللسانية الحاملة لها. فالمدرسون هنا يركزون على إحصاء المفاهيم التي تلائم الجمهور المقصود، والأساليب التعبيرية المناسبة المأخوذة من خطابات حقيقية سجلت أثناء التحقيقات ...

إن المنهجية البنوية بالنظر إلى اهتمامها الواضح بالأشكال اللغوية تقلل من شأن المحتوى الدلالي للرسالة وتهمل الأحوال التي حدثت فيها (من يتكلم ؟ ولن ؟ ومتى وبأي مكان ؟ ولأي غرض ، وبأي واسطة ؟) أما الانتقاء (SELECTION) عند البنويين فقام على تحديد العناصر اللغوية، أي يتجه إلى تقليص المدونة لأنها ستوجه إلى جميع المتعلمين . ومثل هذا التعليم تعزز فيه المادة التعليمية، ويتسم فيه الانتقاء بالاقصاء والشمولية وهو إلى ذلك صارم في تطبيق المقاييس العلمية التي تساعد على التحليل الموضوعي للمادة اللغوية مثل

(التواتر والتوزيع والتهيؤ ...)⁽¹⁴⁾، ولا يبالي أصحابه بالاختلافات الموجودة بين المتعلمين ...

أما في الوظيفية فإن الحدث الكلامي هو المعزز ، وتكون الأحوال التي حدثت فيها الرسالة في بؤرة الاهتمامات. فكل حدث كلامي في نظر أصحاب هذا الاتجاه يتحقق من خلال خطاب متفرد في بنيته ومحتواه. ويتوقف ذلك على طبيعة المتكلمين، ومكان إحداث الرسالة وزمانه وأحوال أدائها. لهذا فالانتقاء قائم على القاعدة الشهيرة لكل حسب حاجته ويشترط في المدونة ملاءمتها للطلب وجعلها عملية. فأصحابها يثقون في المتعلمين ويحملونهم جزءا من المسؤولية ، بأن يكتشفوا بأنفسهم ما هم بحاجة إليه في اللغة التي ستعلم . وقد تفتنوا إلى قيمة الجهود التي يبذلها المتعلم لتحقيق ما يحتاجه فعلا في تواصله الاجتماعي الثقافي والعلمي .

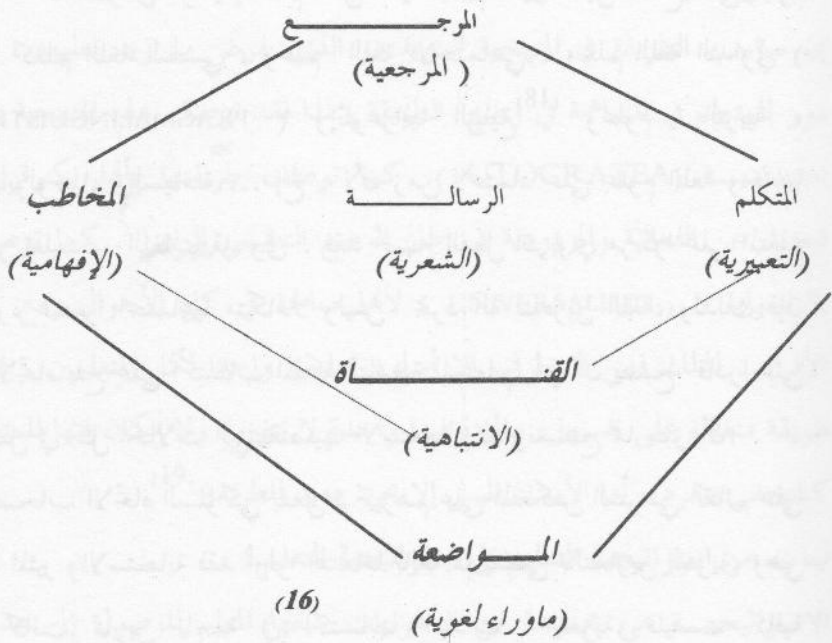
أ - من تدريج المادة إلى التركيز على جهود المتعلم .

فقد كان أصحاب النهج البنوية ينطلقون من تحليل اللغة لاستخراج العناصر التي ينبغي أن تعلم ، وبعد ذلك يقومون بتدريجها وفق مقاييس أهمها التواتر والانتقال من السهل إلى الصعب ، ومن البسيط إلى المعقد ... الخ. ولذلك فإن البرنامج البنوي عبارة عن جرد منظم من الأشكال اللغوية يحصر مسبقا ويفرض على المتعلمين فرضا. ومن هنا يكون التركيز من جانب المعلمين على المادة اللغوية خدمة لعنصر التعليم (ENSEIGNEMENT) لا التعلم (APPRENTISSAGE). أما أصحاب المنهج الوظيفي فيرون أنه لا يجب أن نعلم مادة واحدة لجميع المتعلمين، بل أن نطلق من المتعلم لنحدد المادة التعليمية ، ومنه أيضا إلى تدريجها، ونتيجة ذلك يمكن أن نضع تدرجا لكل فرد أو لكل فئة لها احتياجات واحدة وتشارك في المستوى الثقافي الفكري والاجتماعي المهني ...

وحتى النحو ينبغي أن يكيف حسب مقتضيات أحداث الكلام . ومن هنا فإن هذا البرنامج يحضر بعد معرفة المتعلمين وبالتالي فهو خاضع للتغيير المستمر .

ب - من الوظيفة المرجعية إلى كل الوظائف الأخرى : إذا ما بحثنا عن الوظائف اللغوية التي يركز عليها أصحاب المنهجيتين في تدريسهم للمحتوى ، وجدنا المنهجية البنوية لاتكاد تهتم إلا بالوظيفة المرجعية (15) (REFERENTIELLE) لأنها تمثل أساس رسائل كثيرة ، إذ من دون مرجع لا يكون هناك تواصل إطلاقا ، فالمرجع قوامه المواضع . ويزداد التركيز على هذه الوظيفة في تدريس اللغة للمبتدئين.

أما أصحاب المنهجية الوظيفية فواعون بأهمية كل الوظائف، خصوصا تلك الصادرة عن المتكلم وهي الوظيفة التعبيرية (FONCTION EXPRESSIVE) أو المخاطب وهي الوظيفة الانفعالية (IMPRESSIVE) ، ثم الوظيفة الانتباهية (PHATIQUE) وهي تلك التي تصدر عن قناة اتصال بين المتكلم والمخاطب . ولذلك هم يضعون كل الوظائف اللغوية موضع اهتمام في عملية التبليغ ، والمخطط التالي يوضح ذلك .



رابعا - الطرائق البيداغوجية المعتمدة :

إن الطريقة هي التي تحدد كيفية تعامل المدرسين مع المادة اللغوية والمتعلمين . وهي التي تجيب عن سؤالنا : كيف نعلم ؟ ولا يتضح ذلك إلا بمعرفة الأسس النظرية التي تبني على ضوئها الطريقة (THODEME) (17) التعليمية . أي ماهي المعارف والعلوم والنظريات التي استعان بها المدرسون أو المشرفون على العملية التعليمية التعليمية .

والإجابة عن هذا السؤال تبين بوضوح الفارق بين طريقة وأخرى ؛ فقد كانت الطرائق البنوية تستوحي مبادئها من اللسانيات البنوية وعلم النفس السلوكي ؛ ذلك أن الاتجاه السلوكي يعمل بإلحاح على اكتساب العادات اللغوية . واللسانيات البنوية تقوم أساسا على الجملة كوحدة أساسية للقول ، فلا تتعدى وظيفتها الداخلية ولا تهتم بظروف إحداثها .

أما الطرائق الوظيفية فلم تكن تنقيد بعلم معين ، بل تفتح على علوم كثيرة كعلم اللغة النفسي ، وعلم اللغة الاجتماعي ، وعلم اللغة التداولي (PRAGMALINGUISTIQUE) وإثنوغرافيا التبليغ⁽¹⁸⁾ وعلوم التربية ، والايديولوجيا، والسياسة ... إلخ ، لأن زمن لاعتماد على علوم اللغة وحدها لتطوير تعليم اللغات قد ولى . فقد أصبح الفعل التربوي مركزا على المتعلم باعتباره عنصرا اجتماعيا متكاملا وليس مجرد آلة لتخزين اللغة، ولذلك فإن هذا الاتجاه يلح على اكتساب الملكة التبليغية للمتعلم، أي أن يصبح قادرا على التواصل في كل الحالات التي يقتضيها الاستعمال — ونستنتج مما سبق أن؛

1) أصحاب الاتجاه السلوكي بفعل تركيزهم على المنعكس الشرطي القائم على قانون المثير والاستجابة فقد أولوا اهتماما بالغا بما يسمى بالتمارين البنوية، وهي وإن كانت تمارين ناجعة في اكتساب العادات اللغوية، فليست كافية لاكتساب المتعلم ملكة تبليغية تمكنه من الاتصال بعفوية ويسر . ذلك أن هذه التمارين تقوم بالدرجة الأولى على المحاكاة؛ محاكاة الأساليب والنماذج التي ينتقيها لهم الأساتذة من نصوص معينة ، فيكون شغل المتعلم هو الحفظ أكثر من التصرف اللغوي في استعمال اللغة، ذلك أن الأساتذة يهتمهم أن يستظهر المتعلمون ما يقدم لهم، ولا يلتفتون إلى ما يدور في فكر كل طالب لأنهم يقدمون المظهر اللفظي على حساب المعنى.

2) أما أصحاب الاتجاه المعرفي (COGNITIVE) بفعل تركيزهم على التفكير، فقد انطلقوا من مبدأ الإبداعية (CREATIVITE)، و وضعوا بيداغوجية تشجع الملاحظة والتأمل والاكتشاف والبحث المشترك مع بقية عناصر الفوج. ولذلك فإن شغل أساتذة هذا الاتجاه أن يعرفوا الكيفية التي يفهم بها الطالب الأخبار التي يتلقاها ويتعامل بها ، والطريقة التي ينظمها بها .

أ — من الطريقة المغلقة إلى الطريقة المفتوحة :

إن صاحب الطريقة في المنهجية البنوية هو الذي يفرض ما يريد تعليمه ، ولا دور للمتعلم في المساهمة في وضع الطريقة ، لذا فقد توصف هذه المنهجية بأنها استبدادية (UTOCRATEA) . كما توصف طريقتها بأنها تكنوقراطية تبحث عن الفعالية والمردودية في إطار الوضع التعليمي الراهن . كما توصف بالشمولية (UNIVERSALISTE) لأنها صالحة في كل الأحوال ومع كل الأفراد . لذلك فهي لا تعرف إلا أسلوبا تعليميا واحدا لكل المتعلمين . فهي طريقة مغلقة على نفسها ، والمادة فيها واحدة لا تتغير ، ولا مكان فيها للمتعلم كشخص متفرد ، أما الأستاذ فليس إلا مجرد معيد للطريقة (19)

ب — من استراتيجية التعليم إلى استراتيجية التعلم :

الاستراتيجية هي مجموعة من الإجراءات يتبعها المعلم للوصول إلى هدفه، واستراتيجية التعلم هي فن استثمار الحالة التي يكون فيها المتعلم لتحسين وتيرة التعلم والاسراع في عملية التعليم (20) . والاتجاه البنوي بارتكازه على الطريقة فإنه يؤسس لمشروع تربوي يعزز التعليم، ويقلل من شأن التعلم . وهم بهذا يجعلون اللغة عنصرا مستقلا عن متكلمها، أو متعلمها، بمعنى أنها شئ خارج عن الفرد. ومثل هذا المشروع الذي تظهر فيه هيمنة الأستاذ وتختفي فيه شخصية المتعلمين وإن تنوعوا، فإنه لا يتبع إلا استراتيجية تعليم واحدة .

أما أصحاب الاتجاه المعرفي فيركزون على المتعلم، وهم بذلك يؤسسون لمشروع تربوي يعزز التعلم، ويعتبرون اللغة جزءا لا يتجزأ عن متحدثها أو متعلمها . فهي شئ متصل بالفرد ، نابع منه، والأفراد يتميز بعضهم عن بعض بوصفهم الاجتماعي وبدوافعهم الخاصة . وفي هذا الاتجاه يتحرر المتعلمون من سلطة الأستاذ الذي يتحول إلى منشط، ومتحاور. ويقوم في كل لحظة

بتقييم معارف طلابه، والوقوف على نقائصهم؛ يحثهم على التحرر من كل القيود التي تعيقهم على التعلم وتحثي فردية العمل فيهم ..

ومثل هذا المشروع متعدد فيه الاستراتيجيات ، إذ يسعى كل معلم أن يكيف استراتيجيته التعليمية مع استراتيجيات طلبته التعليمية .

ج — من منع الخطأ إلى الاعتماد على الخطأ في التعليم :

الخطأ⁽²¹⁾ في الاتجاه البنوي عادة سيئة ينبغي أن تحارب بكل وسيلة وينظر إليه على أنه معرقل للتعليم كابح للتعلم . أما في الاتجاه المعرفي الوظيفي فالخطأ شئ طبيعي ينبغي الاستعانة به في المسار التعليمي ، ولا يمكننا لذلك منعه . وينظر إليه على أنه من أهم الوسائل المدعمة للتعلم ؛ فإذا ما تعرفنا على أخطائنا سهل علينا اجتنابها . وانطلاقا من نسبة تواتر الخطأ يتعرف الأساتذة على الصعوبات والعراقيل التي تواجه المتعلمين

د — من التقييم الانتقائي إلى التقييم التكويني (FORMATIVE) :

تحدد وظيفة التقييم في الاتجاه البنوي في قياس الملكة اللغوية ومدى نجوع الطريقة التي سلكها الأستاذ . أما وسائل التقييم فواحدة لكل الناس حيث الاختبارات إجبارية تقدم حسب تواريخ مضبوطة ، فهي امتحانات صارمة تنعدم فيها المرونة مثلما تنعدم فيها العناصر الضرورية للاختبار كالملاءمة والصدق والثبات ... إلخ .

أما التقييم في الاتجاه المعرفي الوظيفي فمهمته الأساسية قياس الملكة التبليغية ومجهودات المتعلم الحقيقية . ويعتمد في ذلك على وسائل قابلة للتغيير ، لأنها تكييف حسب نوعية المتعلمين ، فهي اختبارات توصف بالمرونة .

هـ — من الوثائق المصطنعة إلى البحث عن الوثائق الأصلية :

ونقصد بالوثيقة المصطنعة كل نص منطوق أو مكتوب صيغ خصيصا لتدريس اللغة. وضدها الوثيقة الأصلية (IQUEDOCUMENT AUTENTH) وتطلق

على كل نص يستثمر في تأدية وظيفة تبليغية، إخبارية أو تعبير لغوي حقيقي مثل؛⁽²²⁾ تسجيل حوار عفوي بين شخصين، أو الاستعانة بمقال صحفي من جريدة ، أو نبأ صحفي ، أو لوحة إخبارية، أو إشارات ، أو مقطع من رسالة الغفران مثلا ... فالإتجاه البنوي يعتمد على الوثائق المصطنعة المعدة سلفا لاعتبارات تربوية محددة . لذلك فهي تخضع لتدرج مخطط له، هو عبارة عن مجموعة من العناصر والأشكال اللغوية المرتبة حسب درجة تواترها (كلمات بنى ، بنى نحوية ، جمل ...) .

أما الإتجاه الوظيفي فيعتمد على الوثائق الأصلية المأخوذة من المحيط الاجتماعي وليس قاعة الدرس . أما التطبيقات المعتمدة في هذا الإتجاه فمنبثقة عن نظريتين هما :

— الأولى اجتماعية هدفها اكتساب الملكة التبليغية والتحكم في كل أشكال الخطاب اليومي .

— الثانية نفسانية مستوحاة من علم اللغة النفسي الذي يرى أن اكتساب اللغة نشاط مختلف تماما عن عمل اللغة في حد ذاتها⁽²³⁾ .

وإذا كان الإتجاه المعرفي الوظيفي يرى أن ملكة الفهم أسرع اكتسابا من ملكة

التعبير، فإن أصحابه قد أولوا اهتماما خاصا بتمارين الفهم، لأن تلك التمارين تعطي للمتعلم حرية التعبير بإمكاناته الذاتية وأسلوبه الخاص، إذ يختار الكيفية التي يترجم بها ما فهمه إلى أشكال متميزة مناسبة، لذا كان التعبير السيء لايدل بالضرورة على الفهم السيء، إذ كثيرا ما لايتطابق التعبير مع الفهم . وقد كان أصحاب الإتجاه الوظيفي يحكمون على الفهم الصحيح من خلال التعبير السليم ، إذ يعتقدون بأنه كلما كان التعبير جميلا كلما كان الفهم أحسن وأصدق.

و — من الصورة الدلالية إلى الصورة الخطائية :

ويقصد بالصورة الدلالية تلك التي تعبر عن الحقائق مباشرة، وقد استعان بها أصحاب الاتجاه البنوي السلوكي في نقل المعنى المعجمي ، ونقل بعض المعاني دون اللجوء إلى الترجمة . ذلك أن لغة المنشأ — في نظرهم — هي السبب الرئيسي في كثرة الأخطاء المرتكبة.

أما الصورة الخطائية فليست تلك التي تنقل المعنى فحسب ، بل تلك التي تخلق خطابات جديدة وتثير خيال المتعلم وتدفعه إلى التحدث . والصورة عندما تنقل لنا الواقع اليومي بوفاء فإنها تفتح لنا بذلك نافذة شاسعة على الجانب الحضاري الثقافي للغة المعلمة ، وهذا ما لالنجده عند أصحاب الاتجاه البنوي .

وخلاصة البحث أن الاتجاه المعرفي الوظيفي أعاد الاعتبار للمتعلم ، وجعل منه مصدر العملية التعليمية . لذلك فإن المعلم مطالب بأن يعمل على تحسيس المتعلم بأنه المقصود بالكلام، وإثارته في انفعاله، حتى يستجيب طبيعيا باللغة الأجنبية، ويحدث كلاما أصليا كالذي يحدثه بلغته الأصلية خارج المدرسة . كما يدفعه إلى استثمار كل الإمكانيات غير اللغوية كالإشارة والإيماء وكل ما له صلة بعملية التبليغ . وبهذا الدور تعظم مهمة الأستاذ ليصبح عنصرا نشيطا داخل فريق منظم؛ فهو الذي ينظم اللعبة ، ويديرها ، ويوجهها بكفاية تامة لتحقيق الهدف ، إنه فنان .

- الهوامش -

- (1) انظر - F de SAUSSURE, cours de linguistique générale Payat, 1983, p 159
- (2) انظر - du Seuil J. Kristeva, le langage, cet inconnu PParis , 1981 p 283 Edition du Seuil
- (3) المرجع نفسه ، ص. 238
- (4) انظر - MOUNIN, la linguistique du 20eme siecle.- 2ème édition Paris, G presse universitaires de france , 1975.p.155
- (5) انظر - DUBOIS , dictionnaire de linguistique larousse , . J.Paris , 156 . p.1973
- (6) انظر جورج موانان ، المرجع السابق، ص 235 .
- (7) تكونت الحلقة سنة 1926 ، وضمت مجموعة من اللسانيين الأوروبيين ، نذكر منهم التشيكي ماتيزيوس (Mathésius) والروسيين جاكوبسن وتروباتسكوي والفرنسيين تيار (Tesniere) وفندرياس (Vendreyes) ومارتني (Martinet) وبنفينيست (Benvéniste)
- (8) موسى الشامي ، اللسانيات التطبيقية إلى أين ؟ المحلة المغربية لتدريس اللغات ، العدد الأول ، أبريل 1988 الدار البيضاء ، ص.23 .
- (9) المتعلم هو الفرد الذي يقوم بتعليم نفسه بنفسه ، وليس ذلك الذي يتكل على المعلم ، فكلمة " تلميذ " أو " طالب " لاتتماشى مع الكبار في حالة تكوين مستمر .
- (10) للتوسع أنظر . Galisson ; Polemique en Didactique des : Langues C L.risE , international , Pa 1980 .p30.Besse , R
- (11) نايف خرما وعلي حجاج ، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها سلسلة عالم المعرفة ، الكويت 1988 ، ص.185 .
- (12) المرجع نفسه ، ص. 224 .
- (13) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص. 133 دار المعارف تونس ، 1990 .

(14) فالكلمة التي نصادفها في كل نص أو خطاب أفضل من تلك التي توجد في نص معين ، ومثل هذه الكلمة تتوزع توزيعا واسعا .
ونقصد بالتهيؤ (litDisponibié) المقياس الذي نعرف به الكلمات التي تظهر في مكان ولا تظهر في مكان آخر ، فهناك كلمات نجدها في موضوع السوق ولا نجدها في موضوع المطالعة .

(15) الوظيفة المرجعية أساسها المواضعة بين المتكلم والمخاطب . ففي قولك لزميلك : " ناولني قلمك الأزرق " فإن القلم يميلك إلى فئة الأقلام ، والأزرق إلى فئة الألوان...

(16) في هذا المخطط يميز اللساني الروسي جاكوبسن بين ست وظائف في مسار عملية التبليغ انطلاقا من ستة عناصر ؛ فمتكلم يبعث رسالة إلى مخاطب بالاعتماد على قانون مواضعة مشتركة ، وهذا التبادل الكلامي يحصل في سياق معين (مرجع) بواسطة قناة

اتصال

F. Marchand, Manuel de linguistique appliquée, Tome 4, Delagrave, Paris, 1975, p 60.

انظر

(17) يستعمل مصطلح طريقة في الغالب للدلالة على معنيين مختلفين؛ الأول افتراضي مبدئي يطلق عليه البعض الاتجاه (approach) ، وهو التوجه الفلسفي الذي تبنى عليه الطريقة ، ويتضمن النظريات العامة حول اللغة وطبيعتها وتعليمها وتعلمها. الثاني إجرائي عملي يقابل معنى (method) عند الغربيين، وهو تخطيط عام لانتقاء المادة اللغوية وترتيبها وعرضها وترسيخها . وكلاهما يختلف عن الأسلوب (the technique) الذي يطلق على مجمل النشاطات المختلفة داخل قاعة الدرس والتي بفضلها تبلغ المادة اللغوية للمتعلمين ، مثل : الحوارات ، التمارين البنوية ، لعبة الأدوار ... إلخ

Richards, Platt, Weber, Longman of applied linguistics (approach), 1985, G.Britain

انظر

(18) وهي الدراسة الاثنوغرافية لأحداث التبليغ ، وتخص الجانب الثقافي في مجتمع معين ، يقول هايمز (esHym) : " لكي تتواصل مع الآخرين ، فلا يكفيك أن تعرف اللغة ونظامها ، بل أن تعرف أيضا كيف تستعملها في سياقها الاجتماعي ."

Bachman C. Langage et communications sociales, crédif, Paris, 1981 p.53.

انظر

R. Galisson ; hier à aujourd'hui ... D.L.E., : (19) انظر
Paris, 1981,P. 45.

(20) المرجع نفسه ، ص 28 .

(21) الخطأ لغة " ضد الصواب ، وهو بمعنى الغلط ... وهو ما لم يتعمد ، وقيل خطيء إذا
تعمد، وأخطأ إذا لم يتعمد ، والمخطيء من أراد الصواب فصار إلى غيره ، والخطيء من
تعمد لما لا ينبغي "

انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، مادة
(خطأ).

R Goalisson, D.Coste, dictionnaire de didactique (22) انظر
des langues Paris Hachette 1976,p 59

R. Goalisson, hier à aujourd'hui (23) انظر :
la D.L.E, p.91

(24) يقول فيتجنشتاين (Wittgenstein .L) : " لا تبحثوا عن معنى الكلمة ، ولكن
ابحثوا عن استعمالها "

.Maingueneau , initiation aux methodes (انظر :
de l'analyse du discours, Hac hette, Paris 1976 p ,47